

*توماش كفالينك

حرب أخرى في سنجار: سيف دامقليس

بتأريخ 3 آذار اندلعت اشتباكات بين القوات التابعة لحزب العمال الكردستاني وقوات بيشمركة روزنفا التابعة للحزب الديمقراطي الكردستاني قرب خاناسور في قضاء شنكال. تشير هذه الأحداث أكثر من أي وقت سابق إلى الحاجة إلى التوصل إلى تسويات وحلول توفيقية بين حكومة إقليم كردستان وحزب العمال الكردستاني، وكذلك إلى ضرورة توسط المجتمعات الدولية بنشاط.

في صباح يوم الجمعة المصادف 3 آذار اندلعت اشتباكات بين وحدات المقاومة في سنجار والتابعة لحزب العمال الكردستاني ووحدات بيشمركة روزنفا والتابعة للحزب الديمقراطي الكردستاني المتمثلة بالكورد السوريين، وذلك في أثناء محاولة الأخير للدخول إلى ناحية خاناسور الواقعة في الجهة الشمالية من قضاء شنكال. اندلعت اشتباكات مسلحة طويلة بين الجهتين والتي يُقال أنها أسفرت عن سبعة ضحايا وعدد من الجرحى. أتت هذه الاشتباكات في اليوم الذي تلا انتشار ما يقارب من 500 مقاتل من بيشمركة روزنفا في سنوني والتي تخضع للسيطرة المشتركة لحكومة إقليم كردستان وحزب العمال الكردستاني، وقد تحركت قوات روزنفا إلى الغرب من المدينة، وذلك في محاولة لدخول مشارف خاناسور التي تخضع لسيطرة حزب العمال الكردستاني. وحسب ما تُظهر الفيديوهات والصور من مشهد الاشتباكات فقد حفرت الجهتان خنادق. بينما يظل الموقف غير جلياً إلا أنه من الواضح بأن الحزب الديمقراطي الكردستاني أجرى محاولة لإقامة حضور مسلح في خاناسور. انتهت الاشتباكات في نفس اليوم وكانت هناك مفاوضات بين قادة البيشمركة في الحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب العمال الكردستاني في شنكال لتهدئة الوضع، وحسب ما يُقال فقد اتفق الطرفان على وقف إطلاق النار. ومن المتوقع أن تستمر المحادثات بينهم.

كان قضاء شنكال مصدراً للاحتكاك بين حزب العمال الكردستاني والحزب الديمقراطي الكردستاني منذ آب 2014 وذلك عندما انسحبت قوات البيشمركة من مواجهة تقدم تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، الأمر الذي أدى إلى تقدم حزب العمال الكردستاني بسرعة إلى سنجار لمساعدة اليزيديين. شرع حزب العمال الكردستاني بعد ذلك في بناء هيكلها السياسية والإدارية في المنطقة، متحدياً بذلك سلطات الحزب الديمقراطي الكردستاني في المنطقة. وفي محاولة لنشر قوات البيشمركة لروزنفا في خاناسور، والتي كانت تحت السيطرة الكاملة لحزب العمال الكردستاني منذ 2014، علنت دعوات مكثفة من حكومة إقليم كردستان تطلب حزب العمال الكردستاني سحب قواتها من قضاء شنكال.

الحزب الديمقراطي الكردستاني وبيشمركة روزنفا والرابط السوري

تعد قوات بيشمركة روزنفا جزءاً من قوات بيشمركة الزيرفاني، وبالتالي فهي تخضع لوزارة شؤون البيشمركة وبالنهاية إلى رئيس إقليم كردستان. تلقت قوات بيشمركة روزنفا تدريباتها من الحزب الديمقراطي الكردستاني والولايات المتحدة وهي مدعومة أيضاً من قبل تركيا. كما تؤكد دراسة باكس من أجل السلام، فإن قوات بيشمركة روزنفا متواجدة بالفعل في الأفضية الشمالية في 2016 ومنتشرة في عدة بقاع على طول الحدود السورية. لم يُسبب هذا الانتشار أية مشاكل رئيسية وذلك لأنهم بقوا غالباً خارج المناطق المسيطرة عليها من قبل حزب العمال الكردستاني. ومن المستبعد جداً أن يكون قرار دخول خاناسور قد جاء بشكل مستقل من قبل قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني وذلك بالنظر إلى خط الأوامر التي تتبعها بيشمركة روزنفا.

ترتبط قوات بيشمركة روزنفا بحزب المعارضة الكردية وهو المجلس الوطني الكردي تحت قيادة ابراهيم بيرو الذي لديه علاقات وثيقة مع الحزب الديمقراطي الكردستاني، وبالتالي فإن هذه القوات تعارض حزب العمال الكردستاني في سوريا. يتراوح عدد أفراد المقاتلين والمعلن عنه بين 3000-7000 مقاتل. وكانت هناك عدة محاولات قادها الحزب الديمقراطي الكردستاني للوصول الى اتفاقية لتفاسم السلطة بين المجلس الوطني الكردي وإدارة روزنفا (حزيران 2012، كانون الأول 2013، تشرين الأول 2014) ولكن لم يتم تحقيق أي من هذه المحاولات. في الأونة الأخيرة، كانت هناك مفاوضات متجددة حول انتشار قوات بيشمركة روزنفا في سوريا. وحالياً يتواجد رئيس المجلس الوطني الكردي ابراهيم بيرو في الولايات المتحدة للتفاوض بشأن هذه المسألة. وسابقاً قيل بأن الولايات المتحدة كانت لديها تحفظات بخصوص انتشار قوات بيشمركة روزنفا، وكذلك خوفاً من الاقتتال الداخلي بين القوات التابعة لحزب العمال الكردستاني التي تدعمها في سوريا وقوات بيشمركة روزنفا. عارضت إدارة روزنفا بطبيعة الحال هكذا خطط وذلك لأنها ستتحدى احتكارها للسلطة في المنطقة. ومن جهة أخرى، صرحت الولايات المتحدة في كانون الأول الماضي بأن حزب العمال الكردستاني 'لا ينبغي أن يكون له دور في سنجال'، وذلك من دون الإشارة بشكل مباشر الى أعضاءهم المنتسبين. بالإضافة الى ذلك، يأتي هذا الانتشار بعد أيام من زيارة البارزاني لتركيا في 26-27 شباط. تعتبر أنقرة قوات بيشمركة روزنفا قوات صديقة وتتنظر لها على أنها قوة موازنة لسيطرة حزب العمال الكردستاني في شمال سوريا.

إن التنافس بين الحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب العمال الكردستاني (منذ التسعينات) كان وحتى الآن غير عنيفاً وترمز الاشتباكات في خاناسور على انها اولى تجلياتها العنيفة. تشير هذه الأحداث مرة أخرى الى الحاجة الى التوصل إلى حل تفاوضي تنتج إجراءات سياسية بين حكومة إقليم كردستان وحزب العمال الكردستاني حول قضاء سنجال وذلك لأن احتمال وقوع مواجهة عسكرية أخرى بعد داعش يخلق فوق مخيلة الشعب اليزيدي الذي يدعي كل من الحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب العمال الكردستاني بأنهم يحمونهم، وهذا تناقض واضح وصريح. ومع ذلك، فالمنافسة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بسوريا والتي ترغب فيها الحزب الديمقراطي الكردستاني أن تتحدى احتكار حزب العمال الكردستاني، فيما يريد الأخير أن تظل هي القوة الوحيدة.

تواجد حزب العمال الكردستاني في سنجال: حقيقة جديدة

بدأ حزب العمال الكردستاني منذ أوائل 2015 ببناء نموذج حكم مشابه لروزنفا في أجزاء من قضاء سنجال التي تقع تحت سيطرتها. وكما تقترح محادثات المؤلف مع اليزيديين، فإن الكثير من المجتمع اليزيدي يشعر بأنه تم خيانتهم من قبل حكومة إقليم كردستان التي لم تبدل جهداً كافياً لحمايتهم من الفظائع التي ارتكبتها داعش بحقهم. بالنتيجة فقد وجدت فكرة حزب العمال الكردستاني عن 'الحكم الذاتي الديمقراطي' لقضاء سنجال، والتي يحكم فيها اليزيديون ويدافعون عن أنفسهم، أرضية خصبة. وفي الأجزاء الغربية من القضاء بالأخص، بنى حزب العمال الكردستاني هياكل لها سمات حكم تتراوح بين مجالس محلية وصولاً الى 'إدارة الكانتونات' المتجسدة في المجلس الإداري الذاتي، وحتى انها جندت الاسايش اي القوة الأمنية الداخلية. إن عبارة 'السنجال لليزيديين' تتلقى إقبالاً إيجابياً داخل جزء كبير من السكان ومن حزب العمال الكردستاني ممن يستخدمون نهج كسب القلوب والعقول بنجاح بدلاً من الإكراه. ومع ذلك، قد تثبت الايدولوجية اليسارية الراديكالية لحزب العمال الكردستاني عدم توافق متزايد مع المجتمع اليزيدي المحافظ على المدى الطويل.

لقد استثمر حزب العمال الكردستاني مقدار كبير من الطاقة في سبيل بناء هياكلها في سنجال ومن غير المحتمل انها ستقبل انسحاباً كاملاً من المنطقة. بالإضافة الى ذلك، وكما تقترح مقابلات المؤلف، يبدو أنها تتبع تأسيس قاعدة مستمرة في سلسلة جبال سنجال والتي تُشكل ملجأً آمناً للدفاع تطل على الحدود السورية-العراقية.

منع الحرب؟

وصف قائد حزب العمال الكردستاني من سنجال، زكي سنجالي، الاشتباكات على أنها ليست 'اقتتال داخلي' بل أنها 'حرب خيانية'. واقترحت قيادة حزب العمال الكردستاني في بيان لها بأن القتال بدأ بعد زيارة الرئيس البارزاني الى تركيا، كما ووصف سنجالي قوات بيشمركة روزنفا بالوكلاء التركيين وتعهد بالدفاع عن اليزيديين ضدهم. يمكن أن يكون هذا التفسير مقبولاً داخل حزب العمال الكردستاني ومتعاطفياً إلا انه من الصعب الحفاظ عليه من قبل غالبية السكان الكورد أو المجتمع الدولي. من جهته، يبدو بأن الحزب الديمقراطي الكردستاني سيبقى متمسكاً بخطاب رئيس الوزراء نجيب بارزاني ودعوته لحزب العمال الكردستاني في كانون الأول 2016 في مغادرة المنطقة تجنباً لحدوث مواجهة عسكرية في المنطقة. وقد أصدرت وزارة شؤون البيشمركة، والتي يديرها الآن الحزب الديمقراطي الكردستاني، بياناً تحريضيماً مؤكداً بأن قوات البيشمركة تتحرك وتنتشر أينما أرادت داخل إقليم كردستان العراق، مشيراً الى قضاء سنجال (والذي وطبقاً للقانون العراقي ليس فعلاً جزءاً من إقليم كردستان العراق). لم تصدر الحكومة في بغداد حتى الآن أية تعليقات بخصوص الأحداث في سنجال. مما لاشك فيه أن تحريض القتال داخل 'البيت الكردي' من قبل حزب العمال الكردستاني و حزب الديمقراطي الكردستاني سيضع كليهما في موضع حرج من شأنه أن يؤدي إلى خسارة الدعم الواسع الذي يحظى به الحزبان.

التوصيات

بينما توجد هناك منافسة قوية بين الحزب الديمقراطي الكوردستاني وحزب العمال الكوردستاني، إلا أن كلاهما قد يجدون من الصعب تبرير النزاع المفتوح على دوائرهم الانتخابية. وفي الواقع فإن اتباع نفس المواقف المتصلبة أمر غير بناء ومجدي.

ينبغي على الحزب الديمقراطي الكوردستاني أن يصل الى تفاهم بخصوص التواجد المترسخ والدعم الكبير لحزب العمال الكوردستاني، وأن يعي أنه لا يمكن إنهاء هذا الدعم والإقبال في ليلة وضحاها عن طريق استخدام القوة. وبالمثل، ينبغي على حزب العمال الكوردستاني أن يكون منفتحاً للتوصل إلى حلول عن طريق قبول التسويات مع الحزب الديمقراطي الكوردستاني. وهناك حاجة الى التوصل إلى إتفاق شامل ليس فقط حول شنكال وإنما أيضاً حول روزنفا براعي فيه مصالح كلا الجانبين. وبالنظر إلى وجود عدم الثقة وشدة المصالح المتناقضة، إلا أن الخوف من فقدان الدعم الشعبي لا يمثل دافعا أو حافزاً كافياً لحلحلة المشكلة دون تأجيلها.

وفي هذا الصدد، فإن الولايات المتحدة لديها موقف فريد من نوعه للتوسط والضغط على كلا الجانبين للتوصل إلى حل أو إتفاق وذلك لأن كلاً من حزب العمال الكوردستاني في سوريا وحكومة إقليم كوردستان هما حلفاءها الرئيسيين المناهضين لداعش في المنطقة. وقد انخرطت الولايات المتحدة بالفعل في هذا الأمر مرسلّة إشارات إلى كليهما بأن واشنطن لا ترغب في حصول مواجهات بينهما. وإذا كانت الولايات المتحدة ترغب في أن يركز حلفاؤها على محاربة داعش وتحقيق الاستقرار بدلاً من أن يصطدموا ببعضهم البعض، فينبغي تكثيف مثل هكذا جهود.

للإقتباس: Kaválek, T. (2017) Yet Another War in Shingal: The Sword of Damocles, MERI Policy Brief. vol. 4, no. 3.

الآراء الواردة في هذا المنشور تعكس آراء الكاتب وليس بالضرورة مؤسسة الشرق الأوسط للبحوث.